## ٤- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

**وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى {قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِيْنَ} (يُوْسُف:١٠٨).**

**وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ -، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوْمِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ). أَخْرَجَاهُ. (١)**

**وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: (لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدِيْهِ). فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوْكُوْنَ لَيْلَتَهُم أَيُّهُم يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُم يَرْجُوْ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: (أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟) فَقِيْلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِي بِهِ فبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: (أُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ فِيْهِ؛ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ). (٢)**

**(يَدُوْكُوْنَ) أَيْ: يَخُوْضُوْنَ.**

**فِيْهِ مَسَائِلُ:**

**الأُوْلَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيْقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

**الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيْهُ عَلَى الإِخْلَاصِ، لِأَنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ؛ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.**

**الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيْرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.**

---

١) رواه البخاري في الزكاة برقم (١٣٩٥) ، ومسلم في الإيمان ٢٩ – (١٩) .
٢) رواه البخاري برقم (٢٩٤٢) و(٣٠٠٩) و (٣٧٠١) و(٤٢١٠) ، ومسلم برقم (٢٤٠٦) .

**الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيْدِ كَوْنُهُ تَنْزِيْهًا لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ المَسَبَّةِ.**

**الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ.**

**السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا؛ إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنْ المُشْرِكِيْنَ لِئَلَّا يَصِيْرَ مِنْهُمْ؛ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.**

**السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيْدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.**

**الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَتَّى الصَّلَاةِ.**

**التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى: (أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ) مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.**

**اَلعَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُوْنُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.**

**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيْهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيْجِ.**

**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ.**

**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.**

**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنْ المُتَعَلِّمِ.**

**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.**

**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ.**

**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ.**

**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيْدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وِسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوْعِ وَالوَبَاءِ.**

**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ) إِلَخْ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.**

**العِشْرُوْنَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ؛ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.**

**الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضِيْلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.**

**الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.**

**الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ لِحُصُوْلِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.**

**الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ (عَلَى رِسْلِكَ).**

**الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.**

**السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مَشْرُوْعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.**

**السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ (أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ).**

**الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْنَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلَامِ.**

**التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْنَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.**

**اَلثَّلَاثُوْنَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.**

---

**الشرح :**

فبعدما انتهى المؤلف - رحمه الله تعالى - من ذِكرِ ما يتعلق بفضل التوحيد وتحقيقه ، ثم عقَّب بعد ذلك بالخوف من الشرك ، أتبع هذه الأبواب بذكر بابٍ عظيم وهو أن منْ عرَفَ التوحيدَ وسعىَ لتحقيقه وَخافَ الشركَ على نفسِه ، فإنَّه لا يقتصر في ذلك على نفسهِ وإنما ينقل ذلك إلى غيره ، ويدعو غيره إلى تحقيق التوحيد وإلى الخوف من الشرك ، و يقصد المؤلف - رحمه الله - أنَّه لا يكفي أن تعرف التوحيد وضده ، بل إن من تمام ذلك أن تدعو إلى هذا التوحيد الذي عرفته وأن تحذِرَ من الشرك الذي خفته ؛ لأنَّ هذا واجب من الواجبات ؛ ولأنَّ هذا فيه محبة الخير للآخرين ، والمسلم مجبول على حب الخير للغير، وأعظم الخير الذي تدل الناس عليه هو التوحيد ؛ لأنَّه أول واجب وآخر واجب .

قال - رحمه الله تعالى -: **بابٌ الدعاء إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله** ، الدعاء : أي الدعوة ، الدعوة إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله ، أي الدعوة إلى التوحيد ، فهذه خصلة أتباع الأنبياء ؛ الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك .

**وهنا مسألة** مهمة أن بعض الناس يقول بأنه يدعو إلى التوحيد إجمالاً لكنه لا يدعو إلى التوحيد تفصيلاً، فلا يُفَصِّل في دعوة الناس إلى أفراد التوحيد وكذلك في تحذير الناس من أفراد الشرك ، وإذا سألته يقول : نعم نحن ندعوا إلى التوحيد ونحب الدعوة إليه. لَكنَّه إذا كان يَعْرف هذا التوحيد فإنَّه سيدعو إليه يعني إلى أفراده ، فيدعو دعوة تفصيلية ، والشيخ هنا يقصد الدعوة التفصيلية ، أن تدعو إلى أفراد التوحيد ، فتدعو إلى العبادة بأفرادها كالدعاء والتوكل والرهبة والرغبة والإنابة والخشية والخوف من الله

جل وعلا ، ونحو ذلك مما سيأتي الكلام عليه تفصيلاً . وكذلك تُحذِّر من الشرك إجمالاً وتفصيلاً ، فلا تقول للناس : احذروا الشرك ؛ ولا تشركوا بالله شيئًا ، وتكتفى بذلك ! فإنَّهم لا يعرفون تفاصيل ذلك ، لكن لابد من التحذير من الشرك تفصيلاً ، فتحذر من الشرك الأكبر والشرك الأصغر ، وإلا فإنَّ كل من يدعو إلى الله يقول بأنَّه يدعو إلى التوحيد ويحب الدعوة إليه وينهى عن الشرك ، لكن لا تجد في دعوته الدعوة إلى التوحيد تفصيلاً ، ولا التحذير من الشرك تفصيلاً . فهذه مسألة مهمة يريد المؤلف رحمه الله أن يلفت الانتباه إليها ، وسيذكر المؤلف رحمه الله بعد بابٍ هذا التفصيل إلى آخر الكتاب ، سيفصل المؤلف في التوحيد الذي يدعو إليه وفي الشرك الذي يُحذِّر منه .

وقد استدل ـ رحمه الله ـ على ذلك بآية وحديثين .

**الدليل الأول :**

أمَّا الآية فهي المذكورة في سورة يوسف من قول الله جل وعلا : **{ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** [يوسف :١٠٨] .

وسورة يوسف مقصدها يدور حول الدعوة إلى الله جل وعلا والابتلاء في ذلك ، قال الله جل وعلا **( قُلْ)** أي يا محمد ـ صلى الله عليه وسلم- **( هَـذِهِ سَبِيلِي)** : أي هذه طريقي ودعوتي ، **( أَدْعُو إِلَى اللّهِ )** ، فطريق النبي صلى الله عليه وسلم وطريق الأنبياء من قبله هو الدعوة إلى الله جل وعلا بالشرط الذي سيأتي ، فالأنبياء والرسل لم يأتوا من أجل دنيا ، ولم يأتوا ليقوموا بدعوات سياسية أو دعوات اجتماعية ، أو دعوات اقتصادية ونحو ذلك وإنما جاءوا للدعوة إلى توحيد الله جل وعلا ، والدعوة إلى تعبيد الناس لرب العالمين والدعوة إلى تحقيق الإخلاص ، فعاشوا من أجل هذا وماتوا على هذا ، و ماعدا ذلك من الأمور فإنما هو تبعٌ للمقصد الأول وهو الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا فقد يُمَكَّنُ النبي ويقيم دولة بعد مدة وقد لا يمكن ، وقد يُقتل ، وقد يموت بعيدًا كما حصل لموسى عليه السلام ، وقد يُمَكَّنُ من إقامة الدولة كما حَصَلَ لعدد من الأنبياء كداود وسليمان ونبينا محمد صلى الله وسلم عليهم ، وقد يأتِي الانتقام من الله جل وعلا للناس قبل إقامة الدولة بسبب أنهم لم يستجيبوا كما حصل لقوم نوح .

إذاً فالمطلب الرئيس للأنبياء ؛ وسبيل الأنبياء هو الدعوة إلى الله جل وعلا ، ومعنى الدعوة إلى الله جل وعلا الدعوة إلى توحيده والدعوة إلى إخلاص العبادة له وحده جل وعلا .

**وقوله : ( إِلَى اللّهِ )** فيه تنبيه على مسألة مهمة وهي أن الداعي إلى الله جل وعلا في غمرة دعوته لا يدعو لنفسه **( أَدْعُو إِلَى اللّهِ )** فهنا تنبيه على الإخلاص ، فقد يتعرض الداعي لأزمات واضطهاد من الناس وقد يحصل له عداوات ، وقد تنقلب الدعوة عندئذٍ بدلاً من أن تكون دعوة إلى الله وإلى التوحيد تنقلب إلى الانتقام لنفسه أو دعوة لنفسه . وهذا قد يقع فيه أي داعية خاصة في مجتمعاتنا التي تموج بالفتن والاضطهادات والاعتراضات من الجُهَّال ومن غير الجُهَّال ، فينتبه الداعي إلى الله جل وعلا إلى أنَّ

دعوته ينبغي أنْ لا تحيد عن سبيلها الأساس وهو الإخلاص ، فيدعو إلى الله جل وعلا كما بدأ دعوته ، لا يدعو إلى نفسه ولا يدعو إلى عصبية أو قبلية أو حزبية ، سواء أثنوا عليه أم لم يثنوا عليه وسواء أكرموه أم لم يكرموه إلى آخره .

**ثم قال : ( عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي )** هذه الجملة في إعرابها قولان مشهوران لأهل العلم وكلا القولين يَصب على معنى واحد لكن في كلا القولين فائدة :

القول الأول : **( عَلَى بَصِيرَةٍ )** إعرابها خبر مُقدم ، والتقدير عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ ، أي : أَنَاْ على بصيرة ، و**( أَنَاْ )** تكون مبتدأ مؤخراً ، **( وَمَنِ اتَّبَعَنِي )** معطوفة على **( أَنَاْ )** وعلى هذا يكون المعنى : أنا ومن اتبعني على بصيرة في عبادتي ودعوتي ، وكلانا يدعو إلى الله جل وعلا . لقوله (**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ** )

القول الثاني : أن يقال **( أَنَاْ )** تأكيد للضمير في أدعو ، يعني أدعو أنا إلى الله ومن اتبعني يدعو أيضًا إلى الله وكلانا يدعو على بصيرة .

فنستنتج من كلا الإعرابين أمرًا مهمًا واضحاً : وهو أنَّ الدعوة إلى الله جل وعلا لابد أن تكون على بصيرة ، وأنَّ الدعوة إلى الله جل وعلا هي منهج الأنبياء وهي سبيل الأنبياء ثم إنَّ البصيرة فريضة ، **( أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ )** أي على علم ، فأنت لست بالخيار في ذلك ، إذًا من يتصدى للدعوة إلى الله كما يزعم على غير بصيرة فإنَّ ما يُفسده أكثر مما يصلحه.

فإنَّ أهل العلم يقولون بأن الدعوة لها أربعة أركان :

الركن الأول : الداعي نفسه .

الركن الثاني : المدعو .

الركن الثالث : سبيل الدعوة ، أو طريقة الدعوة : فكيف تدعو ؟ .

الركن الرابع : ما تدعو إليه ، أي إلى أي شيء ستدعو ؟ .

فالداعي لابد أنْ يكون مؤهلاً ويعرف من سيدعو وبأي طريقة يدعو ؟ وإلى أي شيء يدعو ؟ فإنَّه قد يقوم بدعوة الآخرين إلى شيءٍ ويظن أنَّه صواب ويكون ما يدعو إليه من البدع ، أو عين الخطأ ونحو ذلك ، وقد يدعو إلى الله جل وعلا أُنَاساً عندهم شبهات كالنصارى مثلاً فَيُورِدُون عليه الشبهات ولا يتَمَكَّن من الرد عليهم وقد يُفتن والعياذ بالله تعالى ، وهذا أيضًا نقوله لمن يدخل إلى الانترنت وبعض المواقع ليناقش كما يزعم الكفَّار أو يناقش النصارى أو غير النصارى من البوذيين وغير ذلك ، فإنَّهم يأتونه بالشبه التي ربما لم يسمع بها في حياته قط ولم يكن بدوره مستعدًا لها ، فقد يقع في الفتنة وإنْ لم يقع في الفتنة قد يقع في الحيرة . فالإنسان لا يتصدى لهذه الأمور الكبيرة إلا إذا كان عنده إلمام بالشبه وكيفية الرد عليها ، وهذا الكلام أيضًا يقال لمن يخرجون بالدعوة إلى الله جل وعلا من جماعات التبليغ والدعوة إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وهم ليس عندهم من العلم ما يكفي للدعوة في هذه المناطق ، وقد يخرج الواحد إلى بلاد أوروبا مثلاً أو إلى أمريكا وغالبها من النصارى ولا يعرف كيف يرد على شبههم فضلاً عن مسائلهم الفقهية المتعسرة جدًا التي هم متلبسون بها فإنَّ عندهم من

المسائل ما لم تسمع عنه في حياتك للتداخل الذي عندهم في الأسر والإباحية والأموال الربوية وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى لجان وليس إلى أشخاص ، فالذين يُسمُّون أنفسهم بـــ « التبليغ والدعوة » نقول لهم : عليكم أنْ تتعلموا قبل أن تبلغوا ، وتُبَلِّغوا هذا العلم الصحيح وأوله التوحيد والتحذير من الشرك ؛ لأنَّك إذا ذهبت إلى تلك البلاد فإن أهلها غارقون في الشرك يعبدون الصلبان ويعبدون عيسى ومريم والروح القدس عليهم السلام ، وهم أشتات وأنواع بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك . فلا يصح لك أن تجند نفسك للدعوة وتخرج إلى تلك البلاد بالشهور والأسابيع أو أكثر من ذلك بحجة الدعوة وأنت لا تعرف تلك الدعوة التي ستخرج إليها ، فأنت تجني على نفسك وتجني على الدعوة وتشوه صورة الإسلام عندما تهزم في المناقشة أو المناظرة ويقولون : هذا هو الداعي الذي أتانا من عقر ديار الإسلام من بلاد العرب وهذا هو مصيره ومآله ، فيسخرون منك ، فضلاً على أن تلك الدعوة المذكورة هي دعوة على غير منهاج النبوة لما فيها مما يعرف بالتشكيل الذي أتانا من بلاد الهند الذي يأمر به التبليغيون وقد وضعه أُناس من الهنود ، ومنهم إنعام الحق أو محمد إلياس وهذا التشكيل ليس على منهاج النبوة ، فهم لا يجعلون الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يُدعى إليه بل عندهم أول شيء من الصفات الست يقولون : الكلمة الطيبة ( لا إله إلا الله) ويفسرونها بتوحيد الربوبية فيقولون : هي إخراج اليقين الفاسد من على ذوات الأشياء وجعل هذا اليقين على ذات الله جل وعلا ، وهذا هو توحيد الربوبية الذي كانت العرب أو مشركو قريش يُقرون به. فأين توحيد العبادة في دعوتهم ، وأين توحيد الأسماء والصفات في دعوتهم ؟

الجواب : لا تكاد تسمع له ذكرًا .

والمقصود من هذا :

أولا : أنَّ الدعوة لابد لها من داعٍ أو داعية مُجهَّز ومؤهل للدعوة .

ثانياً : لابد لهذا الداعي من معرفة طريقة الدعوة.

ثالثاً : لابد له من العلم بما سيدعو إليه ، وأول شيء يدعو إليه هو التوحيد والتحذير من الشرك .

هذا مما تدل عليه هذه الآية الكريمة **{ أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ }** أي أنَّ البصيرة من الفرائض ، فلا يصح لمن ليس عنده بصيرة أي علم أنْ يدعو إلى الله جل وعلا ، وقالوا بأن البصيرة للقلب كالبصر للعين ، والبصرللعين يرى به ذوات الأشياء فيرى السماء ويرى الأرض ، والبصيرة يُدرك بها حقائقَ الأشياء أو المعلومات ويُدرك بها العلوم ، فالبصيرة للقلب كالبصر للعين **{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** [يوسف:١٠٨] .

**( سُبْحَانَ )**: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره يُسبح .

**( وَسُبْحَانَ اللهِ )** : تنزيه لله جل وعلا عن أن يكون له شريك في ربوبيته أو في عبادته أو في أسمائه وصفاته.

**( وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ )** : وهذه الجملة تأكيد لنفي الشريك .
وهنا تنبيه على ما تفعله جماعة التبليغ فى الدعوة وهو أن الإنسان إذا وجد أمامه منكرًا في بيته أوفي طريقه أو في دكَّانه ، أو غير ذلك ، وقد علم أنَّ هذا الشيء من المنكرات فإنه يقول : يا فلان اتقِ الله لا تصنع هذا ، و هذا من باب النصيحة والأمر والنهي إذا كان علم هذا الشيء ، لكن لا يصح أن يخرج من بلده ويركب آلاف الكيلو مترات ويقول سأذهب إلى أمريكا أبلغ آية لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « **بَلِّغوا عني ولو آية** » (١)

ومن أجل هذا يذهب أحدهم وينام في المساجد ويدور على الأسواق وعلى الناس في المحلات يُبَلِّغ آية . فنقول لهم : هل هذه الآية التي تذهب من أجلها هي غير موجودة هناك في أمريكا أو في أوروبا أو في باكستان ، وما هذه الآية التي لم تصل إلى هؤلاء ؟
الجواب : لا جواب !
ثم نقول له : الآية هذه التي أنت ستخرج من أجلها هل راجعت كلام أهل العلم فيها وهل قرأت تفاسير أهل العلم في معناها ؟ ثم نقول لهم : من شرع لكم الرحلة وشد الرحال من أجل أن تبلغوا آية واحدة ؟ إذا كان ولابد فبلغها لمن حولك ولأهلك الأقربين قال تعالى{ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** } [الشعراء :٢١٤] لكن لا يصح أن تقيم دعوة بكاملها تجعل لها تشكيلاً كاملاً وتعطِّل الناس من أعمالهم وأشغالهم من أجل أن يركبوا الطائرات والبواخر والسفن بحجة أن عندهم آية يريدون أن يوصلوها إلى أمريكا وإلى أوروبا أو إلى الهند أو السند ، والمسلمون موجودون في الهند والسند وعندهم القرآن يحفظونه أحسن مما يحفظه أهل بلادنا ، وأيضًا المسلمون موجودون في أوروبا كذلك ، وطُبِعَت عندهم مصاحف على أرقى طباعة ، فالمقصود أنك لا تقيم دعوة كاملة على تبليغ آية وإنما الإسلام دين كامل شامل عقيدة وعبادة ومعاملات ، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم ، فإنَّه لمَّا أرسل إلى البلدان أرسل من الصحابة أهلَ العلم والفقه فقد أرسل معاذًا كما سيأتى إلى اليمن ، وأرسل أبا موسى الأشعري وهما من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عن الجميع . ونص أهل العلم على أن معاذ بن جبل بعث معلمًا ومفتيًا يعني أُرسل إلى اليمن معلمًا ومفتياً وحاكمًا يحكم ويقضي بينهم ويفتيهم ويعلمهم وهذا رجل واحد ، وأولئك الذين نتكلم عنهم مرفوض عندهم هذا المبدأ وهو أن يخرج رجلٌ واحد إلى جهة واحدة وإنما لابد أنْ يخرج على التشكيل المعروف بالطريقة الهندية .
**يقول المؤلف ـ رحمه الله ـ ( باب الدعاء إلى شهادة « أنْ لا إله إلا الله » )** هذه الدعوة إلى شهادة « أنْ لا إله إلا الله » وإلى التوحيد هي أفضلُ عملٍ يعمله المسلم على الإطلاق ، أفضل عمل بعد أن يعتقد التوحيد أن يدعو لهذا التوحيد ، ودليل ذلك قول الله

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٦١) .

جل وعلا : { **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** } [فصلت :٨٣] أي لا أحدَ أحسنُ قولاً ممن يدعو إلى الله جل وعلا ويعمل صالحًا ، ليس هناك وظيفة أو عمل أعلى ولا أجل ولا أعظم من الدعوة إلى الله جل وعلا بشرطها الصحيح المعتبر لذلك يقول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية في فضل الدعوة إلى الله وفضل الداعي إلى الله كما ذكره ابن جرير وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره ، يقول الحسن البصري عن الداعي إلى الله ( هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله من خلقهِ ، هذا خِيرة الله ، هذا أحبُ أهل الأرضِ إلى الله ؛ يقول : أجابَ اللهَ في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب اللهَ فيه من دعوته وعمل صالحًا في إجابته وقال : إنني من المسلمين؛ ثم يختم هذا الكلام بقوله : هذا خليفة الله) ([1]).

فلا منصب ولا وظيفةَ أعلى ولا أجل من الدعوة إلى الله جل وعلا بشرطها المعتبر ، لا شهادات ولا مناصب ولا أموال مهما كانت فإنَّ هذه الدعوة هي أجل عمل وأجل وظيفة فهي وظيفة الأنبياء والرسل .

والدعوة لها مراتب بحسب من تقوم بدعوته ، ذكرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الصواعق المرسلة وكلها مأخوذة من قوله تعالى : { **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** } [النحل :١٢٥] .

**المرتبة الأولى** : إذا كنت تدعو محبًا للحق ، شخص يحب الحق ، ويطلب الحق محبًا له وطالبًا له لكنه أخطأ أو على غير بَيْنَة أو جاهل أو نحو ذلك فهذا يُدعى بالحكمة ، وتكفيه الدعوة بالحكمة بدون تغليظ ولا تبكيت ولا تنفير ونحو ذلك ، هذا يُدعى بالحكمة يقال له: يا فلان بارك الله فيك ما تصنعه غير صحيح أو هذه التجارة فيها كذا أو هذه المعاملة فيها كذا من الأمور التى لاتجوز شرعا والدليل كذا وكذا ، فهذا الشخص الذي يبحث عن الحق تَكفيه الإشارة ويكفيه هذا الكلام فيُدعى بالحكمة .

**المرتبة الثانية** : أن يكون الشخص مشتغلاً بضد الحق ، ولو عَرِفَ الحق لآثره ، واشتغل بضد الحق كأن وجد عنده أشياخ قالوا له : هذا هو الصواب ، وأفتوه بأن شرب الدخان حلال ، أو أن أخذ الفوائد البنكية الربوية ليس فيها شيء ونحو ذلك ، فاشتغل بهذا ، ولكنَّه استشعر منه محبةً واستشرافاً لمعرفة الصواب والحق ، ولو عُرِّفَ لعرف فهذا يُدعى بالموعظة الحسنة وهي الترغيب والترهيب ، يعني يُرهَّب مما هو فيه من اشتغاله بضد الحق وأنَّ هذا خطأ وأنَّ هذا فيه خطورة عليه فهذا يعرضك للعقوبة ويعرضك لمعاجلة الرب جل وعلا لك بالعقوبة والانتقام وإذا تركت هذا الأمر فإنَّ الناس سيقتدون بكَ وتكون أنت رائد في هذا الطريق ، يُرَغَّب ويُرَهَّب بدون مجادلة ، فإذا عرفت أنَّ هذا الرجل مؤثرًا للحق ولو نُقل إليه لَقَبِلَهُ تُرَغِّبُه وتُرَهَّبُه .

---

[1]) تفسير عبدالرزاق برقم (٢٧١٠) ، تفسير الطبري سورة فصلت آية (٣٣) .

**المرتبة الثالثة** : المعاند المعارض ، فهذا يُجَادَل بالتي هي أحسن ، وانظر إلى موسى وهارون عليهما السلام أُمِرَا أنْ يقولا لفرعون قولاً ليناً ، وهوأطغى الطغاة على وجه الأرض وقتئذ وهو الذي قال : **{ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }** [النازعات :٢٤] ، فكيف بالمسلم العاصى من أهل الإسلام !! فإنَّ هذه مسألة خطيرة مهمة؛ لأن بعض الدعاة وبعض الشباب يتكلم مع المخطئ أو الواقع في خطأ كأنه يريد أن يأتي بالسكين ويذبحه ، ويَقَطِّع رقبته أمام الناس ، فأين أنت من هذه الآية الكريمة ؟ ولمن نزلت هذه الآية **{ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }** ؟ فإذا كان هذا معانداً ومعارضًا فما بالك بإنسان لم يستحضر العناد في هذه القضية وهذه المسألة وهو يَتَمَنَّى أنَّ أحدًا يكلمه ؛ فلماذا تغلظ عليه وتشدد عليه ؟! هل أنت جربت الطرق الأخرى التي ذكرناها من الحكمة والترغيب والترهيب ؛ ثم لجأت بعد ذلك للجدال بالتي هي أحسن ؟! وانظر إلى أفعل التفضيل **أحسن** على وزن أفعل ، لم يقل بالطريقة الحسنة يعني لو عندنا عشر طرق لكن منها طريق أحسن من التسعة الأخرى فنحن مأمورون أن نجادل هذا المعاند بالطريقة الأحسن ، وهذا الكلام نقوله لأهل الإسلام فلا يصح أنّ تشعر نفسك بأنك مستقيم وأنت تارك لهذه الأشياء الواضحات ؛ لذلك فإن الدعوة تتضرر كثيرًا من بعض الدعاة الذين لا يحسنون مخاطبة الناس ، ولا يحسنون مخاطبة الآخرين من المسلمين المؤيدين فضلاً عن المعارضين ، فضلاً عن المعاندين ، فلتكن منك على بال هذه الطرق الثلاث وأنها بحسب المدعو .

فهذه المرتبة الأخيرة : المعاند المعارض يدعى بالتي هي أحسن وبعد ذلك إذا احتاج إلى مزيد من التغليظ أو التشديد أو نحو ذلك فهذه مرتبة أخرى بعدما تَسلُك هذا المسلك أو هذه الطرق الثلاث ، وغالب من معنا ومن هم حولنا هم من أخواننا من أهل الإسلام ، وهم يحتاجون منك إلى كلمة طيبة وموعظة طيبة ، وكلمة فيها نوع من الصدق فتشعره بالصدق وتشعره بالرحمة به والرأفة به فجرب هذا ! وإلا فإنَّ الإسلام قد انتشر في كثير من بلدان العالم بغير السيف : بالكلمة ، والمعاملة الحسنة مع الآخرين وإبراز أخلاق أهل الإسلام في حياتهم ومعاملتهم وبيعهم وشرائهم ، وافتح كتب التاريخ وانظر كيف انتشر الإسلام في شرق آسيا في أندونسيا وماليزيا وهذه الأماكن لم يرفع فيها سيف ولم يُرق فيها دم ، إذًا هذه المراتب المذكورة في هذه الآية الكريمة هي بحسب حال المدعو .

والمجادلة لا تكون على وجه المغالبة ولكن تكون على قصد النصح للآخرين وعلى قصد الهداية ، وهذه مسألة مهمة جدًا وتكلم عليها الإمام النووي في مقدمة « المجموع شرح المهذب » ومما ذكره عن الشافعي - رحمه الله تعالى - أَنَّه قال : ما ناظرتُ أحدًا قط على الغلبة ، يعني لا أناظره وأجادله حتى أتغلب عليه وأكن أنا الفائز وأنا المنتصر !! يقول : ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة ، ما ناظرت أحدًا إلا ودِدتُ أنْ يُظهر اللهُ الحقَ على يديه ، فيناقش الآخر ويدعو الله جل وعلا أن يظهرَ اللهُ جل وعلا الحق على يديه ، فهذا هو الداعي الذي يَتَجَرَّد لله جل وعلا ويدعو ويناظر لله وليس بقصد المغالبة ، وهذه

مسألة مهمة وتحتاج منك إلى مجاهدة . فهذه الأمور التي ذكرناها تحتاج أن تكون منك على بال ولا يظن أحد أنها ستأتي في يوم أو ليلية أو في سويعة .

هذا بعض ما يتعلق بقول الله جل وعلا : { قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي } .

والشهادة لابد فيها من الاعتقاد ، لابد فيها من النطق ، وأيضًا من معاني الشهادة الإعلام والإخبار ، أنت اعتقدت بقلبك وشَهِدت بلسانك ، وتحركت جوارحك بمقتضى الشهادة فبقي عليك أن تُعلم بها الآخرين وأن تخبر بها الآخرين ، فإنَّ الشهادة لا يكفي فيها مجرد أن تقولها ولكن لابد أن تخبر بها غيرك وتُعْلِمَ بها غيرك . **([1])**

ثم إن أهل العلم تكلموا في مسألة : إذا أراد الإنسان أن يدخل في الإسلام دون أن ينطق الشهادة وليس عنده عذر في ترك النطق بها فإنَّه كافر باتفاق أو بإجماع أهل الإسلام كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

**الدليل الثاني :**

**قوله (عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بعثَ معاذًا إلى اليمن قال : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله - فإنْ هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإنْ هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُ على فقرائهم ، فإنْ هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتقِ دعوة المظلوم ، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه ) ([2]).**

**قوله (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا بعث معاذًا إلى اليمن )** سبق بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن معلمًا ومفتيًا وحاكمًا ، وكان بعث معاذ إلى اليمن في السنة العاشرة أو أواخر السنة التاسعة .

ويلاحظ في هذا أنه بعثَ عالمًا وفقيهًا لأنَّ معاذًا رضي الله عنه كان أعلم الناس بالحلال والحرام لأنَّ هذه الأحاديث يستدل بها التبليغيون على ما يصنعونه في خروجهم ، إذاً بعث فقيهًا عالمًا بالحلال والحرام مفتيًا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى »([3]) فإذا أردت أن ترسل فأرسل من عنده علم و فقه ويستطيع أنْ يتكلم في المسائل النازلة التي تُعرض عليه ، أمَّا الإنسان لو بذل جهدًا في الصلاة أو بذل جهدًا في العمرة أو في الحج أو أتعب نفسه في صلاة ليست على هدي النبي صلى الله عليه

---

[1] راجع تعليقنا على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي رحمه الله تعالى .

[2] رواه البخاري في الزكاة برقم (١٣٩٥) ، ومسلم في الإيمان ٢٩ ـ (١٩) .

[3] مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٥٤) .

وسلم ، أو أدى عمرةً ليست هي العمرة الصحيحة المشروعة فبدلا من أن يجعل البيت في الطواف عن يساره قال : أنا أستريح وأُريح وأطوف وأجعل البيت عن يميني ، حتى أريح نفسي من الزحام ، وقال : لماذا يتزاحم الناس في عرفة وفي المبيت سأذهب إلى عرفة اليوم العاشر بعدما ينزل الناس إلى مزدلفة ثم إلى منى يكون عرفة خالياً تمامًا وأنا أذهب على مهلٍ في الظهر إلى بعد المغرب ثم أنزل إلى مزدلفة أبيت فيها لأن مزدلفة فيها زحام شديد ، فيقول : لماذا هذا الزحام !! هؤلاء لا يفقهون ، سأنزل إلى مزدلفة في ظهر اليوم العاشر وأجلس فيها كما أحب وأصلي فيها وأتعبد وأقيم الليل ، وأيضًا في الرمي يصنع ذلك وفي طواف الإفاضة إلى غير ذلك !!

فنقول : هذا بَذَلَ جهدًا وأتعب نفسه وأتعب- راحلته لكن عمله مردود عليه لأنه على غير هدي محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فالعبادة لابد لها من شرطين لكي تكون عبادة صحيحة :

**الشرط الأول** : الإخلاص .

**الشرط الثاني** : أن تكون العبادة على هدي محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

فمهما بذل فيها ومهما أتعب نفسه فيها ، ومهما أتى بالجهود العظيمة لكنها على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم فهي مردودة ودليل ذلك قوله : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ** » ([1]) **أي مردود .**

وقد روى الدارمي في سننه عن عمرو بن سلمة عَنْ أَبِيهِ **( قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: بَعْدُ لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ- وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْرًا- قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: مَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصا فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، وانْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يُضَيَّعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟!، ثُمَّ مَضَى، وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ**

[1]) رواه البخاري في باب النجش ( ٣/ ٩٦ ) ، وباب إذا اجتهد العمل أو الحاكم فأخطأ (١٠٧/٩) ،ومسلم برقم ١٨ ـ (١٧١٨) .

الرَّحْمَنِ حَصاً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلى الله عَليهِ وسَلم مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلَالَةٍ! قَالُوا: وَالله يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ...... ) (١) هذه قاعدة مهمة لابد أن تضعها في ذهنك : كم من إنسان يريد الخير لكنه يسلك طريقًا آخر لا يوصل إلى هذا الخير ، محب للخير يبذل الجهد لكن الخير في طريق وهو في طريقٍ آخر ، ثم قال لهم : **عُدوا سيئاتكم وإني ضامن أن لا يُضيع الله من حسناتكم شيئًا** ، يعني بدلًا من أن تعدوا حسناتكم عدوا سيئاتكم ، بدلًا من أن تجلسوا ومعكم الحصى هللوا مائة ، كبِّروا مائة ، سبِّحوا مائة **قال : عدوا سيئاتكم** . فهؤلاء بذلوا الجهد وأتعبوا أنفسهم لكن طريقتهم كانت على غير طريقة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فهذا ابن مسعود ومن قبله أبي موسى الأشعري كلاهما استنكر هذا الفعل وأنكراه على فاعليه .

فالقاعدة أنَّه ليس كل إنسان يريد الخير يصل إليه بل كي يصل إليه لابد أن يصل إليه من طريق محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ومن العجيب العجيب أنَّ أحد الذين يظهرون في الفضائيات على قناة الناس يقول : بأنه يجوز الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وأنَّه ليس من البدع وليس من المنكرات وأنَّ هذا ليس فيه شيء ويستدل بقوله تبارك وتعالى : { **وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ** } [إبراهيم :٥] ويستدل بأدلة أخرى عجيبة ، وللأسف الشديد إذا كانت هذه القناة التي يُنظر على أنها قناة تدعو إلى السُنَّة ثم يخرج فيها أمثال هؤلاء الذين يجعلون السُنَّة بدعة والبدعة سُنَّة فهذه من الطامات نقول له : إذا كنت تريد أن تستشهد بهذه الآية : { **وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ** } أليست هذه الآية نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ لماذا لم يذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بيوم مولده وأنه من أيام الله التي يُذَكر الناس بها فيحتفل بمولده فيكون هو أول من يقيمُ احتفالاً لمولده في حياته ؟ أليست هذه الآية نزلت عليه لماذا لم يصدع بهذا الأمر [ **وَذَكِّرْهُمْ** ] ويقوم بالاحتفال بيوم مولده صلى الله عليه وسلم بالطريقة التي يريدها ذلك الشخص ، ولماذا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الفهم ولم يصدع لهذا الأمر ؟ ولماذا لم يفعله بعده عمر وعثمان رضي الله عنهما وقس على هذا ؟ ولماذا لم يفعله أحدٌ من الأئمة الأربعة المشهورين : أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله ، ولماذا لم يَنُصُّوا

---

(١) سنن الدارمي برقم (٢٢٢) .

على هذا في كتبهم وفي فقههم وهم أئمة مذاهب متبوعة ؟ ولماذا لم يحصل هذا إلا من شخصٍ في القرن الخامس عشر ؟ هذا الفهم العجيب الغريب الذي لا أساس له والذي يُنْشَر بين الناس ويراه مئات الألوف أو الملايين من الناس ، أليس هذا العمل يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَد** » **(١)**

لو فتح هذا الباب بهذه الاجتهادات لما بقيت سُنَّة ، ولقامت البدع وماتت السُنن ، ويأتي إنسان في القرن الخامس عشر يستنبط من هذه الآية هذا الاستنباط ويمليه على الناس ويقول : وإن كنت أخالف فلانًا العالم فإنَّ هذا اجتهادي وهذا رأيي ، هذه المسألة خطيرة جدًا وكبيرة أن يظهر من يقول هذا الكلام ويبث على الناس خاصة في مسائل ابُتلي الناس بها . فالعمل لكي يقبل لابد له من شرطين : الإخلاص ، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يرسل معلماً مفتيًا فقيهًا أرسل معاذًا إلى اليمن في أحد نواحيها (صنعاء) ، وأرسل بعد ذلك أبا موسى الأشعري إلى (عدن) أيضًا لنفس المهمة قال : **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب** ، لماذا بَيْن لمعاذ رضي الله عنه القوم الذين سيأتيهم ؟

الجواب : ليستعد لمناظرتهم ومناقشتهم ؛ فقد كان أكثر أهل اليمن في ذلك الوقت من اليهود والنصارى ، والوثنيون كانوا قلة فيهم ، ويؤخذ من هذا أن على الإمام أن يرسل الدعاة إلى الله عز وجل إلى الآفاق لدعوة الناس وتعليمهم أمور دينهم .وأن يقوموا بإعداد هؤلاء الدعاة بما يلزم لهذه المهمة العظيمة .

**قال : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب** ، ( إنك) مؤكدة فـ (إنَّ) للتأكيد ، ونصحه بهذه النصيحة أو بّيْنّ له هذا البيان ليعرف من سيقوم بدعوته ، **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب** ، وإذا عرفت من ستقوم بدعوتهم فإنك تستعد لمجادلتهم والبحث عن الشبه التي تكثر عندهم والبحث عن أجوبة لهذه الشبه ، فإذا عرفت أنك ستذهب إلى الصين مثلاً أو إلى اليابان فهؤلاء ليسوا بأهل كتاب وإنما هم وثنيون يعبدون الأصنام كما كان المشركون يعبدون الأصنام فأنت تستعد لمجادلة وثنيين ، فتكلمهم وتناقشهم في عبادة الأوثان ، لكنَّك ستضع في ذهنك أنَّ المناقشة ستكون على : كيف تعبدون هذه الأوثان التي نحتموها بأيدكم وصنعتموها بأيديكم وصنعتم لها المعابد ووضعتم لها البراويز إلى غير ذلك وتطلبون منها النفع ودفع الضر إلى آخره ؟ فإذا أرسل الإمام دعاة إلى منطقة ملاحدة أو شيوعيين كروسيا أو ما يُعرف قديمًا بالاتحاد السوفيتي أو منطقة شرق أوروبا ، فإنَّه سيستعد لمناقشة ملاحدة أو اشتراكيين أو علمانيين وهؤلاء ينكرون الأديان بالكلية ،والفرق بين هؤلاء أن المركسيين علمانيون ولكن عندهم نظرية

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم ١٧ – (١٧١٨) .

اقتصادية معينة ، وكذلك الشيوعيون هم ملاحدة علمانيون لكن عندهم نظرية اقتصادية تتعلق بشيوع المال وأنَّه لا يجوز لأحد أن يتملك المال حتى لو كان يستحق هذا التملك بل المال عندهم ملك للدولة فهي التي تعطي كل إنسان ما يكفيه على وجه التسوية بين الشعب كله ، شيوع المال لذلك سموا بالشيوعية ، فالدولة توفر لهم المواصلات ، وتوفر التعليم ، وتوفر الجمعيات التعاونية ، وتوفر الأكل والشرب ونحو ذلك ، ولا يجوز لأحدٍ أن يَتَميز عن غيره في ملبس أو في مركب أو نحو ذلك إلا الطبقة التي تحكم فهي التي تستطيع أن تصنع هذا ، لكن باقي الشعب سواء في كل شيء ،أما الإسلام فدين العدل وليس دين المساواة ، هذه نقطة مهمة وكثير من الناس يخطأ فيها ، الإسلام دين العدل فلو أن إنسان عنده مميزات وعنده قدرات معينة وعنده عطاء ، وعنده تميز في عقله وفي إنتاجه وفي ذكائه ، وفي عطائه فهذا لا يساوي إنسان بليد أو إمكانيته ضعيفة ، فلا تساوي إنسان لا يعرف الفرق بين الألف والباء بإنسان متخصص في ناحية معينة من الطب أو في المحاسبة أو في البناء أو في التجارة أو في العلم الشرعي أو في الفتوى أو في نحو ذلك ، فالإسلام دين العدل أي يضع الأمور في موضعها ، فمن كان من أهل التميز وله عطاءات وإمكانيات كبيرة ينفع بها المجتمع فهذا يُقدَّر بحسبه ، والإنسان الكسول الذي ليس عنده شيء في عطائه وإنما يعطي شيئًا يسيرًا جدًا وعنده بلادة في العقل يُعطى على قدره ، أما عند هؤلاء لا ، فلا يجوز لك أن تتملك سيارة حتى لو كنت قد أوتيت من الأموال بما أوتيت، فالسيارات والقاطرات ملك للدولة فهم يتحركون فيها إلى أعمالهم وإلى أسفارهم بالتذاكر أو غير ذلك ، ولكن أقول أنَّ الإنسان الذي يذهب إلى دول شيوعية ، دولة علمانية ، دولة ملحدة لابد أنْ يعد نفسه لمناقشة أُناس ملاحدة علمانيين يَدْرُس معنى العلمانية والشيوعية والمركسية والاشتراكية ، والاشتراكية هذه حصل فيها إشكالات كثيرة عند منْ يُسَمَّى بالمفكرين الإسلاميين وقالوا أن الإسلام دين الاشتراكية ، ونادوا بما يُعرف باشتراكية أبي ذر الغفاري ، فالذي يذهب إلى تلك البلاد لابد أن يعرف ويدرُس هذه الأمور ، فلذلك بَيْنَ صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل منْ سَيأتي إليهم ومنْ سيدعوهم وبَيْنَ له أنَّ هؤلاء هم أهل الكتاب أي أناس نزل عليهم الكتاب فهم أصحاب شبه منهم من يعبد عيسى ومنهم من يعبد مريم ومنهم من يعبد عُزَيْرًا ومنهم من يعبد الصلبان ، وعلى هذا فلابد أن تَستعد لمناقشتهم فهم أُناس أصحاب دين مُحَرَّف أو أديان مُحرَّفة ، وأذكر أنَّ بعض العلماء كان يناقش رجلاً نصرانيًا ، فقال له : لماذا تسمحون بأن يتزوج الرجل المسلم من نصرانية ، ولا تسمحون النصراني أن يتزوج من امرأة مسلمة ؟ فقال له بأسلوب التدرج أو التَنَزُّل مع الخصم : لأننا نؤمن بنبيين بمحمد وبعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وأنتم لا تؤمنون إلا بني واحد ولا

تؤمنون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا آمنتم بنبينا مع نبيكم زوجناكم منَّا ، فنحن الأفضل منكم لأننا نؤمن باثنين من الأنبياء بنبينا وبنبيكم وأنتم لا تؤمنون إلى بني واحد . فطريقة المناقشة مع اليهودي أو النصراني أو غيرهم ينبغي أن يكون فيها نوع من الذكاء ونوع من الفطنة ، فلذلك قال له : **إنك تأتي قومًا من أهل كتاب** ليُوطِّنَ نفسَهُ لمناظرتهم ويستعد لرد شبههم ، وهؤلاءَ الذين يذهبون إلى بلاد أوروبا وأمريكا على خطورة عظيمة في دينهم إذا لم يكونوا مستعدين لرد شبه النصارى هناك ؛ لأنهم يذهبون إليهم في وكرهم في عقردارهم فإذا لم يكن عندهم استعداد لرد شبههم ومعرفتها فإنَّه يحصل عليهم شرٌ كبير ، فلا يذهب هناك إلا أهل العلم بالشروط التي ذكرها العلماء وهي أمن الفتنة في الدين ، وأمن الفتنة في الدنيا ، فلا يذهب إلى تلك الأماكن إلا شخص يأمن على نفسه من فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ، وقالوا : فتنة الشهوات بأن يكون متزوجًا ، وفتنة الشبهات بأن يكون عنده من العلم ما يرد به شبه أولئك ، ثمَّ لابد أن يَحْرِصَ على إظهار الدين ، بأن يُعرف أنَّه مسلم وأنَّ هؤلاء كفار ويجادلهم بناء على قول النبي صلى الله عليه وسلم **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»** (١) فلا يكون ضعيفًا متسترًا خائفًا بل يواجه الآخرين بالحق والتوحيد ، ويبين لهم حكم اليهودي وحكم النصراني في الشريعة ، ومن لايقدر على هذا لا يذهب ، فأهل العلم وضعوا من ضمن الشروط إظهار الدين ، يعني أنْ تعلو بهذا الدين على الكفار وأنْ يعرف الكافر أنَّك إنسان عزيز صريح في دينك ، وأنك تقول بأن أهل التوحيد هم أهل النجاة من النار أما اليهود والنصارى أهل الصلبان وأهل الشرك وأمثال هؤلاء هم أهل النيران ، بخلاف ما يحصل الآن عند بعض من يذهب هناك مع زوجته فإنَّه يجعلها تكشف عن وجهها من أجل الخور والضعف الذي يحُس به هناك ، فهذا يجلس في بلاده لا حاجة للإسلام في سفره إلى تلك المناطق ، وهذه المسألة تكلم عليها أهل العلم باستفاضة فيما يتعلق بالسفر إلى بلاد الكفار(٢) تكلم عليها أئمة الدعوة بكلام طويل مستفيض متنوع في الدرر السنية ومن الممكن أن ترى فيها تفصيلاً أكثر من ذلك .

**قال : فليَكُنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أنْ لا إلـه إلا الله** ، فـ (أولُ) يجوز فيها الرفع والنصب ، (**فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادة** ) فتكون (**شهادة**) اسم يكن مؤخرا ، وإذا قلت : (**أولُ**) بالرفع تكون (**شهادةَ**) خبر يكن منصوبا ، وهذا اللفظ هو رواية

---

١) رواه مسلم برقم ٢٤٠ ـ (١٥٣) .
٢) راجعها في كتاب «الدرر السنية » [ج/٨] .

البخاري ([1]) وفي رواية : « **إلى أن يوحدوا الله** » وهذه في صحيح البخاري ([2])، وأتى المؤلف بهذين اللفظين لِيُبَيْن أنَّ معنى الشهادة هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة والتوحيد ، وهذا هو معنى الإسلام ، فإنَّ أصل الإسلام هو إفراد الله جل وعلا بالاستسلام والإخلاص وبالتوحيد بالشروط التي ذكرناها ، **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** - وفي رواية : **إلى أن يوحدوا الله** - فإن قاموا بهذا الركن الأول وهو الشهادتان ،( **فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم** ) . وهذا تدرج في الدعوة ، فأرشده إلى أهمية التدرج في الدعوة وأنه على الداعية أن يبدأ بالأهم فالمهم ، فالأهم هو الدعوة إلى التوحيد ؛ لأنَّ الإنسان إذا أتى بملء الأرض أعمالًا صالحة وكان فيها شرك أو لم يكن فيها إخلاص جعلها الله هباءًا منثورًا ، والعكس بالعكس فلو كان الإنسان موحدًا لا يأتي الشرك ولقي اللهَ جل علا بأعمال صالحة ولو قليلة فهو من الناجين ، بإذن الله جل وعلا قال تعالى { **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً** } [الفرقان :٢٣] **فإنْ هم أطاعُوك لذلكَ** : يستفاد منها الدعوة بالتدرج والبدء بالأهم فالمهم ، **فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كل يومٍ وليلة** ، فإذا مات الكافر ولم يأتى بالشهادتين أوالتوحيد فهل يحاسب يوم القيامة على الصلاة وعلى غيرها من الأركان أم لا ؟ هذه المسألة تكلم فيها الأصوليون وهي هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كالأصول أم لا ؟ والراجح أنَّهم مخاطبون بفروع الشريعة وأنَّهم يحاسبون عليها ، فالكافر يحاسب على الصلاة ويعذب على ترك الصلاة والزكاة والصوم إلى آخره ، واستدلوا بقوله { **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)** } [المدثر:٤٣-٤٦] فبَيْن أنَّهم يكذبون بيوم الدين يعني الكفار ومع ذلك حُوسبوا على الصلاة ، فالراجح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما أنهم مخاطبون بأصول الشريعة .

**فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإنْ هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم** : وهذه هي الزكاة ، وأعلمهم بأحد مصارف الزكاة الثمانية : وهم الفقراء فتؤخذ من الغني وتُعطى للفقير . **فإنْ هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم** ، الكرائم جمع كريمة والمقصود هنا : من البهائم ؛ البهيمة الكريمة من الإبل أو من البقر التي تُدِر اللبن وتتميز بجمال الصورة وكثرة الصوف ونحو ذلك ، فالذي يذهب لجمع الزكاة عليه أنْ لا يأخذ من أحسن الأموال وكرائمه بل يأخذ من أوسط المال ، فلا يأخذ من الرديء ولا يأخذ من أحسن شيء حتى لا يتضرر صاحب المال بل يأخذ من أوسط المال وهذا من سماحة الشريعة .

---

[1]) رواه البخاري برقم (٤٣٤٧ ) .
[2]) رواه البخاري برقم (٧٣٧٢ ) .

**قال : واتقِ دعوةَ المظلومِ** ، حتى لا يأتي هذا الذي يجمع الزكاة من الناس يظلم صاحب المال فيأخذ ما لا يجوز له أن يأخذه ، أو يأخذ مقدارًا زائدًا عن الزكاة ، أو يظلمه بأن يأخذ من أحسن المال الذي عند صاحب المال فيدعو عليه ، **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** ، فإنَّ دعوة المظلوم تُرفع والرب جل وعلا يجيبها ولو بعد حين .

وهذا الحديث فيه فائدة عظيمة وهي أن معاذ بن جبل ذهب وحده إلى منطقة صنعاء في اليمن ليبلغهم الدين كله بما فيه من العقائد والأحكام ، فيستفاد من هذا قبول خبر الواحد وأنَّ خبر الواحد حجة في الشريعة ، ويفيد العلم ،لأنَّ معاذًا ذهب إلى اليمن وهو شخص واحد وهذا نستفيد منه الرد على جملة كبيرة من الفقهاء والمحدثين الذين يقولون : أنَّ خبر الواحد لا يُفيد العلم ، ولا يؤخذ به في العقائد وإنما يؤخذ به في العمل والأحكام فقط !! فنقول لهم : معاذ بن جبل شخص واحد ذهب إلى تلك المنطقة ليُعَلِّمَهم العقائد والأحكام ، ولم يقل له أهل البلد ارجع فأتِ لنا بعدد يُفيد التواتر ، وإنَّما أخذَوا قوله ورَضُوْا به وأخذوا به في دينهم ، فالصواب أنَّ خبر الواحد الذي صح الإسناد فيه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هو حجة في العقائد وحجة في الأحكام ، والبخاري - رحمه الله تعالى - عقد في صحيحه كتابًا خاصًا بأخبار الآحاد ، كتاب أخبار الآحاد في صحيح البخاري ليرد على طوائف من الفقهاء ممن لا يرون العمل بأحاديث الآحاد في العقيدة ، فالبخاري أتى بأدلة متعددة ومنها هذا الدليل ، وهو واضح ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أنَّ مذهب جماهير المحدثين وكثير من فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية أنَّ خبر الواحد حجة وأنَّه يفيد العلم إذا احتف بالقرائن ، ولابن حجر كلام في كتابه « النكت على كتاب ابن الصلاح » ، وابن الصلاح يرى أنَّ أخبار الصحيحين يعني ما جاء في البخاري ومسلم تفيد العلم القطعي اليقيني ، والحافظ ابن حجر يرى أنَّها تفيد العلم النظري ، يعني النظر الذي يحتاج إلى استدلال ونظر في الأدلة .

و هذه المسألة ليس هذا محل بحثها ، لكن معاذ بن جبل وهو شخص واحد ذهب إلى منطقة ليُبلِّغهم الدين كله وهذا يُفيد بأنَّ أخبار الآحاد الصحيحة حجة في العقائد وفي الأحكام ، وهذه المسألة طالب العلم لابد أن يُتقنها وأنْ يراجعها في مظانها ؛ لأنَّك تجد من الناس منْ يُنكر هذا الكلام ، فإذا أتيت له بحديث في الصفات يقول : هذا الحديث من المتواتر أم من الآحاد ؟ تقول له : آحاد ، يقول لك : أخبار الآحاد لا نأخذ بها في العقيدة !

فحديث معاذ بن جبل واضح في حُجية العمل بأخبار الآحاد أو الأخذ بأخبار الآحاد في الاعتقاد وفي الأحكام ، والشيخ ناصر الدين الألباني له رسالة مستقلة في العمل بأخبار الآحاد والاحتجاج بخبر الآحاد وكذلك الشيخ سليم الهلالي له رسالة الأدلة والشواهد على وجوب الاخذ بخبر الواحد فى الاحكام والعقائد ، وأيضًا ممن تكلم عن هذا كلامًا جيدًا ابن حزم في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » ، وأيضًا الشيخ أحمد شاكر في

تعليقه على ألفية السيوطي ، وشيخ الإسلام تكلم في هذا في عدة مواضع من ضمنها المجلد الثامن عشر من مجموع الفتاوى .

**الدليل الثالث :**

**قال : ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر - يوم حصار خيبر -: ( لأعطينَّ الرَّايةَ غدًا رجلاً يحبُ اللهَ ورسولَه )**

(لأعطينَّ ) : فيه قسم مُقَدَّر وهو [والله] ، ومؤكد بعدة مؤكدات ، [اللام] و[ النون ] للتوكيد ، والراية : هي العلم ، فكل جيش في أي مكان يكون معه رَّاية عليها شعار له ، مكتوبة بكتابة أو رسم يرسم أو لون أو نحو ذلك ، وقالوا : بأنَّ هناك فرقًا بين الرَّاية واللواء ، فالرَّاية دائمًا تكون مفتوحة يعني ترفرف كما يقال ، واللواء قد يُعقد أو يُلف وقد يكون مفتوحًا ، على كل حال هذه رَّاية للجيش تكون معهم يأخذُها من يتقدم أمام الجيش ويكون في المقدمة .

**(لأُعْطِيْنَّ الرَّايةَ غدًا )** : أي بعدما اشتد الحصار على خيبر حصن اليهود أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ببشارة الفتح ، قال : غدًا سأُعطي الرَّاية رجلاً ووصْفُه أنه **يُحبُ اللهَ ورسولَه ، ويحبُه اللهُ ورسولُه** ، وهذه فيها مَزِّية وصفة مدح وثناء للذي سيفتح خيبر ، أنه موصوف بهذه الصفات يحبُ اللهَ أي حبًا صادقًا ، ويحبُ رسولَه عليه الصلاة والسلام كذلك ، والأعظم من ذلك أنَّ الله جل وعلا يحبُه وأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يحبُه ، كما قيل : ليس الشأن أنْ تُحب ولكنَّ الشأنَ أن تُحَب ،فكل إنسان يَدَّعي المحبة لكنَّ من يعلم هل الرب جل وعلا أحبَه أم لا.

وقد ترجم البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه في كتاب الرقاق قال : « باب المقةُ من الله » ، والمقةُ هي ابتداء المحبة ، أى ابتداء المحبة يكون من الله جل وعلا من فوق السماوات العلا تنزل هذه المحبة من أعلى من عند الله جل وعلا ، **" إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ "** (١) فإذا أردتَ أنتَ محبة الناس وقبل ذلك محبة الله فاطلبها من الله جل وعلا ولا تطلبها من الناس ، وكما جاء في الحديث **«مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»** (٢)

فهذا وصف عظيم جدًا لهذا الرجل الذي يحبُ اللهَ ويحبُه الله .

---

١) رواه مسلم برقم ١٥٧ - (٢٦٣٧) .
٢) رواه الترمذي برقم ( ٢٤١٤) .

الفائدة الثانية وهي فائدة مهمة نستفيد منها في باب العقائد والصفات ، وهي إثبات صفة المحبة لله عز وجل ، فهو سبحانه يُحِب ويُحَب جل وعلا ، فهو يُحِب عبادَه المؤمنين الصالحين المتقين المحسنين ، ويُحِبُه عباده الصالحون المتقون المؤمنون ، وهذا فيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممن لا يثبتون صفة المحبة لله جل وعلا .

فإنَّ الجهمية يقولون :لا يُحِب ولا يُحَب ، وينفي غيرهم من المعطلة صفة المحبة لله جل وعلا والتي هي أمنية لكل مسلم ، فكل مؤمن يرجو أن يكون ممن يحبُه الله سبحانه وتعالى ، فهؤلاء نفوا أعلى أمنية يتمنَّاها العبد وهي أن يُحبه الله سبحانه وتعالى ، فصفة المحبة صفة فعلية من صفات الله سبحانه وتعالى ، والصفة الفعلية هي التي إذا وُجِد مقتضاها وُجِدَتْ فالعبد اذا أتى بالإيمان والطاعة والعمل الصالح فإنَّ الله جل وعلا يُحِبه ، فإذا انقلب هذا العبد إلى الكفر أو المعصية فإنَّ الله جل وعلا يبغضه ويسخط عليه أو يغضب عليه أو يكرهه ، فهي تابعة للمشيئة إذا وُجِدَ سببها وجدت ، فإذا وُجد مقتضى المحبة وهو الطاعة والعمل الصالح أحبَّ الله جل وعلا ذلك العبد المطيع الصالح والعكس بالعكس . ففيها إثبات صفة المحبة لله جل وعلا والرد على المعطلة بكافة أصنافهم ، والأشاعرة أيضا يؤولون هذه الصفة ويقولون : معنى أن الرب عز وجل يحبُ عبده أي يُثيب هذا العبد ويُكرم هذا العبد ؛ إرادة الإثابة وإرادة الإكرام أو إرادة الإنعام ونحو ذلك .

**قوله ( لأُعْطِينَّ الرَّايةَ غدًا رجلاً يحبُ اللهَ ورسولَه )** وهذا أيضًا فيه رد على الخوارج الذين يُكَفِّرون عليًا رضي الله عنه ويتهمونه بالكفر وبالخروج عن الشريعة ، ووجه الشاهد من الحديث أنَّه أثبتَ أنَّ الله جلَّ وعلا يحبُ هذا العبد وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يحبُه كذلك ، فمقتضى هذا أنَّه يموت على الإيمان فضلاً على أنه من العشرة المبشرين بالجنة إلى غير ذلك ، لكنْ وجه الشاهد هنا من الحديث في هذه الجملة الرد على الخوارج ، والرد كذلك على النواصب الذين يبغضون عليًا رضي الله عنه .، وقوله: (**ويحِبُه الله**) فيها رد على الجهمية الذين ينكرون صفة المحبة كما سبق.

**قوله ( يَفتَحُ اللهُ على يديهِ )** فهذه بشارة الفتح ( **فبات الناس يدوكون ليلتهم** ) أي مكث الناس بالليل سواءً بنوم أو بدون نوم يقولون منْ هذا الشخص الذي فيه هذه الصفات العظيمة ؟ كل واحد يحب أنْ يكون هو هذا الشخص الذي تفتح خيبر على يديه والذي شُهد له بالمحبة حتى أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : **( مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ )** (١)أي ما حدثته نفسه بالإمارة إلا في هذه الليلة ، ليس لبشارة الفتح ، وإنما ليحظى بمنزلة المحبة .

**( فلمَّا أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها )** كل واحد يريد هذه المنزلة ليس لأنَّهم يريدون الإمارة فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال

---

١) رواه مسلم برقم ٣٣ - (٢٤٠٥) .

:**«إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»** **(١)** أي إذا أتاك من يطلب الإمارة تقول له : إنا لا نعطي هذا الأمر من طلبه ، لأنَّ من طلب الإمارة لم يُعن عليها ، وإذا أتتك الإمارة بغير طلب أعنت عليها ، والإمارة كما جاء في البخاري : « **فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ** » **(٢)** نعمت المرضعة : أي تُرْضع جيدًا وتعطيك منصبًا ووجاهةً ، وأموالًا إلى آخره ، وبئست الفاطمة : فعندما تُفطم عن الإمارة وتُسلب منك الإمارة انظر ماذا سيكون مصيرك ينقلب بعدها إلى ذلة وهوان. فضلاً عن السؤال عن هذا المنصب وماذا فعلت فيه ، وماذا لم تفعل ؟ ( **فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا أن يُعطاها** ) من أجل هذا الثناء على من سيفتح الله على يديه وهذا الوصف بالمحبة ، **فقال** : **أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل** : **هو يشتكي عينيه** ،أي كان به مرض في عينه ـ رمد- أو غير ذلك يشتكي عينيه ـ **فأرسلوا إليه فأُتي به** ـ أي أوتي به وهو مريض بهذه الصورة أي لم يأت بمفرده وذهبوا وأتوا به لأنَّه لا يستطيع المجيء لمرضه الذي بعينيه ( **فبصق في عينيه ودعا له** ) : فتفل في عينيه صلى الله عليه وسلم ( **فبرئ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية** ) فيؤخذ منه أولاً الإيمان بالقدر ، فقد تسعى لأمرٍ وتتعب فيه وتبذل فيه كل ما تستطيع من أسباب ولا تصل إليه ، بل قد يصل إليه غيرك ممن سعى قليلاً ووصل قبلك ، فإذا كانت هذه مصيبة تقول : الحمد لله ، فالقدر يُحتج به في المصائب ولا يُحتج به في المعايب ، فمن يشرب الدخان ، تقول له : يا أخي اتق الله واترك الدخان يقول لك : والله هذا قدري قدَّر الله عليّ أن أشرب الدخان ولو أراد سبحانه وتعالى ألا أشرب ما شربت !! هذا الاحتجاج كاحتجاج المشركين ، الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا) فلا يأتي الإنسان بمعصية ويفعل المنكرات والفواحش ويقول : قدَّر الله ، فلا يُحتج بالقدر في المعايب وإنما يحتج بالقدر في المصائب .

**قوله (فأعطاه الرَّاية)** فأعطى الراية علياً الذي كان مريضًا بعينيه ،والصحابة الكبار وفيهم أبو بكر وعمر وكبار الصحابة حُرِموا من هذه المزية فأعطاه الرَّاية فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،وقال :( **انفذ على رِسْلِك)** أي امض على رِسْلِك أي على مهل ، وفيه فائدة أنه ينبغي على المقاتلين في قتالهم أن يتحروا ويتحلوا بالتؤدة والتمهل ؛لأنَّ العدو قد يعد لهم الكمائن التي لا يعلمون مواقعها وغير ذلك ، فمن آداب الحرب التؤدة في المواطن التي فيها خوف ، مواطن الهجوم التي يكون فيها احتمال خديعة واحتمال غدر ونحو ذلك ، فعلى المهاجمين أن يتئدوا لذلك قال له : ( أنفذ على رسلك) أي على مهل برفق وبدون عجلة ؛ لأن العَجَلَة دائمًا هي مظنة للمهالك ومظنة للهزيمة . **(حتى تنزل**

---

١) رواه البخاري برقم (٧١٤٩) .
٢) رواه البخاري برقم (٧١٤٨ ) .

**بساحتهم)** أي في فناء الأرض التي حولهم تنزل بساحتهم بساحة اليهود في خيبر ، ( **ثمَّ ادعهم إلى الإسلام** ) فتدعوهم قبل أن تقاتلهم ، والدعوة إلى الإسلام واجبة إن لم يكن العدو بلغته الدعوة فربما يُسلم إذا دعي ، أما إذا كان بلغته الدعوة إلى الإسلام فإنَّ فيها خلافًا لأهل العلم والظاهر أن الدعوة مستحبة عندئذ ، تدعوهم إلى الإسلام استحبابًا ، وإن قاتلته وغرت عليه وقد وصلته والدعوة قبل ذلك فلا بأس ؛ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أغار على بني المصطلق وهم غارُّون ، أي أغار عليهم بدون أن يخبرهم .

( **ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)** : أي في الإسلام ، فإذا أتوا بالشهادتين فأخبرهم بعد ذلك بالأوامر والنواهي ، ( **فوَالله)** :هذا قَسَمٌ ، **(فوَ الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمْر النعم** ) ، لأن يهتدي على يديك رجل واحد خير لك من ذلك ، وقوله : **(يهدي اللهُ)** فيه أن الهادي هو الله سبحانه وتعالى ، وهذه لابد للداعي أن ينتبه لها ، فمن الممكن أن تدعو شخص عشرين سنة أو أربعين سنة ولا يهتدي وقد تدعوه بكلمة واحدة ويقع الإيمان وتقع الهداية في قلبه فإنَّ الهادي هو الله جل وعلا والمقصود هنا هداية التوفيق ؛ لأن الهداية قسمان : هداية توفيق وهداية إرشاد ودِلالة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم وقف على رأس عمه أبي طالب يريد منه كلمة واحدة فقط قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، على رأسه سيد البشر صلى الله عليه وسلم الذي أسلم على يديه من أسلم فلم يستطع أن يقذف الهداية في قلب عمه ، ومات أبو طالب وهو يقول أنه على ملة عبد المطلب جده ، على ملة الأشياخ ملة الكفار .

فانت لا تملك هداية التوفيق وإنما الذي يملكها هو الله جل وعلا ، فإذا كنت تدعو شخصًا فاطلب له الهداية من الله سبحانه وتعالى ، تدعو هذا الشخص وتحب له الهداية وتحرص على هدايته فتطلب له الهداية ممن بيده الهداية وهو الله جل وعلا .

وهذا المسألة مهمة : أن الداعي يجمع بين الدعوة إلى الله والدعاء لهذا المدعو ، ولا يفعل كما يفعل التبليغيون عند الخروج فإنَّهم يتركون في ركن المسجد شخصًا أو شخصين يجتهد في الدعاء للجولة التي تخرج ويجتهد في الدعاء أنَّ الله يوفق أولئك الخارجين ، وهذا التشكيل بهذه الصورة بدعة . لكن نقول : إذا كنت تدعو شخصًا وتدعوه دعوة إرشاد وبيان فادع الله وجل وعلا بأن يوفقه وأن يهديه وأن يأخذ بيده إلى ما يحب ويرضى في قيامك الليل ، وفي سجودك ، وفي أوقات الإجابة، وليس بهذا التشكيل الذي ذكروه . **(فوَالله لأنْ يَهدي الله بكَ رجلاً واحدًا خيرًا لك من حمْر النعم** ) حمْر جمع أحمر ، والنَعم وهي الإبل الحمراء والتي كانت العرب تقدمها مهورًا في الزواج ، لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من الإبل الحمراء العظيمة التي كانت العرب تتفاخر بها وبأنَّها من أموالهم .

وقوله **(والله)** فيه جواز الحلف في العلم والتعليم والفُتيا ، فقد تحلف على أمرٍ من الأمور وأنت تعلم الناس نظرًا لأهمية هذا الأمر ، وقد تحلف على فُتيا ، والله إنَّ هذه الفتوى كذا وكذا لأنَّ الناس مثلاً ينكرون هذه الفتوى أو لا يصدقونك أو نحو ذلك ، ففيه

جواز الحلف وإن لم يُستحلف هذا الشخص في الأمور المهمة ، أما الناس الآن تحلف على كل شيء ، تحلف على كل ما هبَّ ودَب ، تحلف على الدرهم وما هو أقل من الدرهم في البيع والشراء ، قال ربنا جل وعلا : { وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ } [المائدة :٨٩] فاحفظ يمينك فلا تحلف إلا إذا وُجِدَ ما يستدعي الحلف عند القاضي مثلاً في المحكمة ، أوتحلف على أمرٍ مهم على فُتيا ، أوعلى تعليم ونحو ذلك .

ذكر في الحديث عدة مسائل ذكرنا أكثر هذه المسائل ومنها :

- التنبيه على ضرورة الإخلاص ، وعلى أنَّ البصيرة في الدعوة إلى الله جل وعلا من الفرائض ، وعلى أنَّ المسلم ينبغي أن يبتعد عن المشركين لِئلا يصير منهم وقد جاء في هذا الحديث : « **أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين** » **(١)** وذكرنا أنَّه يجوز للمسلم أن يُسافر إلى بلاد الشرك بهذين الشرطين : أن يأمن على نفسه من الشهوات ومن الشبهات ، ثالثاً : أن يقيم ويظهر دينه بين الكفار .

**السابعة** : **كون التوحيد أولَ واجب** . وهذا واضح أن يُبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة ، وكذلك التنبيه على التعليم بالتدريج ، وأن يبدأ بالأهم فالمهم ، وأن يتقِ دعوة المظلوم .

**الثامنة عشرة** : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع تؤخذ من المرض الذي كان أصيب به علي رضي الله عنه وهو من المبشرين بالجنة ومن سادات الأولياء ، فقد ابتلي بهذا الرمد في عينيه وبهذا الوجع وبهذا الألم ، فهذا ليس فيه تنقيصًا من قدره ولكنه رفعة للدرجات وهو من أدلة التوحيد ، و يؤخذ من هذا أن الإنسان إذا احتسب الأجر وصبر على البلاء فهذا دليل على قوة إخلاصه وتوحيده .

**التاسعة عشرة : الإيمان بالقدر ، لحصول البشارة والإمارة لمن لم يسع لها ولمنعها عمن سعى لها** . وهذه تكلمنا فيها بالتفصيل .

**العشرون : الأدب في قوله : على رِسْلِك .**

والأدب في القتال لقوله : تمهل ، وينبغي أن تؤخذ الأمور في القتال برفق وتؤدة وعدم تعجُّل فهذا يؤخذ منه الأدب في القتال .

**الحادية والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .**

والدعوة بالحكمة لقوله : « أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه . . . » وثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

**الثانية والعشرون : الحلف على الفُتيَا .**

إذا كان هناك مصلحة تقتضي هذا ، تقتضي الحلف .

---

(١) رواه أبو داود في السنن برقم (٢٦٤٥) .